

تفسير البحر المحيط

@ 456 @ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُنتُمْ رَاغِبِينَ إِلَى اللَّهِ عَالِي كُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ { روى
أبو صالح عن ابن عباس : أنها نزلت من أجل كفار قريش ، وقد تقدم ذكرهم في قوله : { لَا
يَجْرِمَنَّكَ كُفْرُ هَؤُلَاءِ بِمَا هُمْ كَاذِبُونَ } وبه قال مقاتل ، وقال الحسن : بعثت قريش
رجلاً ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم) ، فأطلعه الله على ذلك . وقال مجاهد وقتادة : إنه
عليه السلام ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية فهموا بقتله . وقال جماعة من
المفسرين : أتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين
قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ حسبهما مشركين ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم اجلس حتى
نطعمك ونقرضك ، فأجلسوه في صفة وهموا بالقتل به ، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحي عظيمة
يطرحها عليه ، فأمسك الله يده ، ونزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج . وقيل : نزل منزلاً
في غزوة ذات الرقاع بني محارب بن حفصة بن قيس بن غيلان ، وتفرق الناس في العضاة يستطلون
بها ، فعلق الرسول سلاحه بشجرة ، فجاء أعرابي فسل سيف الرسول صلى الله عليه وسلم (واسمه
غورث ، وقيل : دعثور بن الحرث ، ثم أقبل عليه فقال : من يمنعك مني ؟ قال : (الله) قالها
ثلاثاً) وقال : أتخافني ؟ قال : لا ، فشام السيف وحبس . وفي البخاري : أن النبي صلى
الله عليه وسلم (دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم) لم يعاقبه .
قيل : أسلم . وقيل : ضرب برأسه ساق الشجرة حتى مات . وروي أن المشركين رأوا المسلمين
قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معاً بعسفان في غزوة ذي انمار ، فلما صلوا ندموا أن لا كانوا
أكبوا عليهم فقالوا : إن لهم صلاة بعدها هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ، وهي صلاة
العصر ، وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها ، فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف .
وقد طوّّلوا بذكر أسباب آخر . وملخص ما ذكره أن قريشاً ، أو بني النضير ، أو قريظة ،
أو غورثا ، هموا بالقتل بالرسول ، أو المشركين هموا بالقتل بالمسلمين ، أو نزلت في
معنى { الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ } قاله الزجاج ، أو
عقب الخندق حين هزم الأحزاب { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ } والذي
تقتضيه الآية أن الله تعالى ذكر المؤمنين بنعمه إذا أراد قوم من الكفار لم يعينهم الله بل
أبهمهم أن ينالوا المسلمين بشر ، فمنعهم الله ، ثم أمرهم بالتقوى والتوكل عليه . ويقال :
بسط إليه لسانه أي شتمه ، وبسط إليه يده مدها ليبطش به . وقال تعالى : { وَيَبْسُطُوا }

إِلَّا يَدْرِيهِمْ وَأَلَسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ { ويقال : فلان بسيط الباع ، ومد يد الباع ، بمعنى . وكف الأيدي منعها وحبسها . وجاء الأمر بالتقوى أمر مواجهة مناسباً لقوله اذكروا . وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة ، وإشعاراً بالغلبة ، وإفادة لعموم وصف الإيمان ، أي : لأجل تصديقه بالرسول يؤمر بالتوكل كل مؤمن ، ولابتداء الآية بمؤمنين على جهة الاختصاص وختمها بمؤمنين على جهة التقريب . .

2 ({ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْ يُؤْمَرُوا الْقُرْآنُ })